إلا أنه مما يلفت الانتباه في هذا الفصل، هو ما يراه الكاتب تناقضاً صالَحَ بين المادية والمثالية في العمل، وأوقع «أبا سلام» في مأزق ايجاد وسيلة يقدم من خلالها فهمه لمسألة الالتجاء الى القوى الغيبيـة، لدى رغبته في تقـديم التفسير المـادي العلمي لهذه القضية.

وباعتقادنا، إن خطأً ما يبدو قد ارتكبه فاروق، في فهمه لهذه القضية، اذ أن نهاية الفصل الأخير في رواية: «الوقائـع الغريبـة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل»، هي التفسير بعينه:

يقول اميل حبيبي على لسان الرجل الذي تلقى رسائل سعيد: «فاذا صدقتم حكاية التجائه الى اخوته الفضائيين، ورحتم تبحثون عنه في دياميس عكا القديمة، فقد يصيبكم ما أصاب المحامي مع المجنـون: المحامي الذي صدَّق مجنوناً، فراح يبحث عن كنزه المطمور، كما ادعى، في الأرض بالقرب من شجرة خروب. فظل يحفر الى الشرق والى الشمال والى الغرب والى الجنوب، حتى اقتلع الشجرة كلها، ولم يجد كنزاً. وكـان المجنون في هـذه الأثناء يصـرف وقتـه بـطلاء حـائـط في المستشفى بفرشاةٍ يغمسها في دلوٍ بلا قاع، فلما عاد المحامي اليه يتصبب عرقاً، سأله المجنون: هل اقتلعت الشجرة؟ قال: اقتلعتها من جذورها، ولم أعثر على كنزك.

قال المجنون: اذن هات فرشاةً ودلواً بلا قاع وقف الى جانبي وادهن!».

وينهي اميل حبيبي روايته بقوله:

«فكيف ستعثرون عليه، يا سادة يا كرام، دون أن تتعثروا به؟!...». وهذا نفي كامل للغيبية التي يرى الزميل فاروق وادي بأنها تصالحت وتوحدت مع المثالية في الرواية، وأوقعت كاتبها «في مأزق».

الا أن أهم ما في الدراسة، هو أنها تحدد أبرز السمات لهذا العمل الفذ، من حيث أنه «رصد توثيقي»، بتعرضه لأحداث جرت في تاريخ قريب، وبأنه «مقارنة تاريخية لتداخل أحـداث ووقائـع التاريخ القديم مع الحديث: تاريخ فلسطين الملطخ بالدم، منذ الحروب الصليبية وحتى اليوم؛ وكذلك من حيث تعـرض العمل الروائي الى المقـارنـة الأدبية: «حيث يستفيد الكاتب من قراءاتـه في الأدب العـربي والعالمي، فيسنـد رؤيته بـأبيات الشعر، أو الأقوال، أو الحكايات (عن ألف ليلة وليلة والجاحظ). ومن ذلك أيضاً، الفصل الخاص حول الشبـه الفريد بين سعيد وكنديـد، «حيث تعقـد المقـارنـة مـع قصـة فـولتـير الشهيـرة» ص (١١٤).

ويتحدث فاروق وادي عن الأسلوب السـاخر لدى اميل حبيبي، وعن السخرية في الشخصية، والتغابي، والمبالغة في تقزيم الذات، والمبالغة في تضخيم أهمية الذات، والمبالغة في التباسط، الى تلقائية الاستجـابة وسـرعتها، وكليـة مأسـاوية وسخـرية في التفـاصيل، والسخـرية في اللغـة، والجناس اللغوي، والثقافة التراثية لاميل حبيبي، وما الى هنالك من فنـون اللغة، التي أفـرد لها الكاتب أجزاء داخل الفصل الثـاني: بحيث إن دلت على شيء، فانما تدل على الجهد الجاد الذي بذله فاروق وادي، في سبر أعماق أسلوب اميل حبيبي، وتحليله تحليلاً تفصيلياً دقيقاً.

جبرا ابراهيم جبرا

في الفصـل الثـالث من الكتـاب، والمخصص لدراسـة العلامـة البـارزة الثـالثـة في الروايـة الفلسطينية، يبدأ الكاتب مدخله لهذا الفصـل، بتثبيت بعض الاجـابات التي رد بهـا الأستاذ «جبـرا» على أسئلة وجهت اليـه، في مقـابـلات ولقاءات سابقة، بينها مقابلة أجرتها معه مجلة «شؤون فلسطينيـة» عام ١٩٧٨. وبهـذا يكون فاروق وادي قد ثبَّت طريقة منهجية متناسقة في دراسته للعلامات الثلاث.

ونعتبر أن هذا المدخل هو أهم المداخل الثلاثة، لأنه يحدد الوسيلة التي يجب انتهاجها لدراسة أعمال هذا الكاتب الفلسطيني المبدع. ذلك لأنه ان لم يـدرس، بتوافق زمني، فـان فجوة هـامة ستحدث لدى الدراسة المنتَهَجة، وهذا ما يقرُّ به الزميل فاروق، عازياً ذلك الى المـواهب المتعددة التي يتمتع به جبـرا ابراهيم جبـرا: الشاعـر، والروائي، والقاص، والناقد، والرسام، والمترجم.

ويتمنى الكاتب لو أن دراسته هذه اتسعت، لتشمل كل هذه الفنون، الا أنها «تظل أضيق من ذلك في طموحها المحدد، وهو الولوج الى عـالم جبرا، من خلال الرواية، من أجل التوصل الى نقاط إضاءة مبدئية لكشف عالم 'جبرا' الغني الواسع» (ص ١٤٤).

وينتقل فاروق وادي الى الحديث عن روايات «جبرا» الأربع، ليقول: «فكأنما نحن أمـام رباعية